المحاضرة الرابعة

موضوع المحاضرة : حضارات العصر الحجري القديم الأوسط بشمال إفريقيا (الموستيرية)

الباليوليتي الأوسط:

مثّل الباليوليتي الأوسط حلقة مهمة في المسار التصاعدي لعصور ما قبل التاريخ، و يعتبر هذا العصر معروف بشكل أفضل من سابقه لأن البقايا المكتشفة وُجدت محفوظة بشكل أفضل، خاصة في المغارات والملاجئ التي سكنها الإنسان، والتي ساعدت ظروفها على حفظ أغلب تلك البقايا كالعظام مثلا .ويتميز هذا العصر بتعميم الطرق الليفالوازي (Levallois) ، ويقترن هذا العصر في أوربا بحضارة واحدة تدعى الحضارة الموستيرية، لكن يُلاحظ في شمال إفريقيا وجود الحضارة الموستيرية لمدة قصيرة جدا لتُعوض بحضارة محلية تسمى العاترية .و إذا كان الباليوليتي الأوسط في أوربا يمتد من حوالي 111 ألف سنة ق.م إلى 37 ألف سنة ق.م، فإنه يتواصل في شمال إفريقيا إلى حوالي 11ألف سنة ق.م .و يعاصر في أوربا المرحلتين ال I وال II من النصف الأول للعصر الجليدي فورم (Worm) ، أما في شمال إفريقيا فيقابل المرحلة المناخية المسماة السلطاني.

أما عن خاصية الأدوات الحجرية خلال هذا العصر، فقد تطلب إعداد النواة من الصانع خلال الباليوليتي الأوسط أن يقوم بسلسلة حركات معقدة عُرفت بالطريقة الليفالوازية، نسبة إلى موقع " Levallois-Perret " بفرنسا .حيث تتطلب هذه الطريقة القيام بتشذيبات دائرية لقطع الصوان أو الكوارتز، ثم يأخذ الصانع بعد ذلك في قطع الجزء العلوي من الحصاة انطلاقا من التشذيبات السابق ذكرها حتى تأخذ النواة شكل ظهر السلحفاة المنبسط، وبهذا تكون النواة جاهزة، ويمكن نزع الشظية بالطريقة التالية :طريقة جانبية تؤدي إلى نزع شظية رقيقة تحمل على سطحها العلوي آثار تشذيبات دائرية، وعلى عقبها آثار صفيحات مما يدل على الإعداد الدائري للحصاة .وقد أُستعملت هذه الشظايا المسماة بالليفالوازية من طرف الموستيريين والعاتريين لصناعة أدواتهم الحجرية، وكان ممكنا الحصول على شفرات ومخارز ليفالوازية بإج ا رء تعديلات ثانوية في إعداد النواة .وتجدر الاشارة إلى أن التقنية الليفالوازية لم تكن وحدها التي أُستعملت في تلك المرحلة، فإنسان الباليوليتي الأوسط قد تحصل على شظايا و شفرات أو مخارز من نوى لم يعرضوها لإعداد خاص.

الحضارة الموستيرية- :

استمدت الصناعة الموستيرية اسمها من موقع موستيي في الدوردون بفرنسا (l'abri de Moustier) ، وهي معروفة جدا في أوربا .وقد سمحت د ا رسة العديد من مواقعها بتمييز سماتها وأنواعها ومعرفة الإنسان الذي شيدها، وهو إنسان نياندرتال.

وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو " G. de Mortillet " سنة 1871 م، كما يعتبر الموستيري معروفا بطريقة واضحة في فرنسا بسحناته (Faciès) المختلفة من خلال الدراسة النمطية التي أُجريت على الأدوات الحجرية المكتشفة هناك .وقد أظهرت تلك الدراسات هيمنة المكاشط والحراب والأدوات المسننة في تلك الصناعة مع وجود بعض الأدوات التي تميز العصر الحجري القديم الأدنى كالفؤوس، وأخرى تميز الباليوليتي الأعلى كالسكاكين المظهّرة.

ويمكن تصنيف الصناعة الموستيرية إلى عدة أوجه تشكل نطاقات متخصصة ومحلية كما يلي:

الموستيري ذو التقليد الأشولي :عُرف لأول مرة في موقع الموستيي، وهو يتركب من- العناصر الصناعية التالية :قطع ذات الظهر .

- تطور الأدوات من نمط الباليوليتي الأعلى مثل المحكات و المحثات و المثاقب .
- يُلاحظ انخفاض نسبتي الفؤوس والمكاشط في فترته التطورية .
- ارتفاع الرؤوس ذات الظهر و المحكات و النصال .

الموستيري النموذجي :يتميز بما يلي- :

- ندرة أو غياب الفؤوس اليدوية .
- نسبة ضعيفة من القطع ذات الظهر اللانموذجية و الليماس والمسننات– .
- تغير في نسبة المكاشط .

الموستيري ذو المسننات :يتميز هذا الوجه بمايلي :

- ندرة أو غياب مجمل الأدوات باستثناء أداتين :الجزات والمسننات .حيث يمثل هذان النمطان أغلبية أدوات الموستيري ذو المسننات.

الموستيري من نمط كينا :حُدد هذا الوجه لأول مرة في موقع كينا بالجنوب الغربي لفرنسا، وعُثر عليه بجانب بقايا إنسان نياندرتال، ويتصف هذا الوجه بالمزايا التالية:

- انعدام تقصيب ليفالوا ، فالشظايا المحصل عليها قصيرة وسميكة و النصال نادرة .
- من الجانب النمطي يتميز هذا الوجه بالنسبة العالية جدا للمكاشط بطرف منحني و سميك سواء كان قاطعها جانبي أو عرضي.
- وجود بعض القطع المتخصصة مثل المكاشط ذو التشذيب المزدوج الوجه ونمط الليماس و الحزات الكلاكتونية.
- ندرة القطع ذات الظهر المنحني، وكذا غياب الفؤوس اليدوية وقلة المسننات .
- ظهور وأنماط جديدة تميز فيما بعد الباليوليتي الأعلى مثل المحكات السميكة .
- ارتفاع نسبة المكاشط وانخفاض نسبة المسننات- .

الموستيري من نمط فارسي :تم التعرف عليه في موقع فارسي بالجنوب الغربي لفرنسا، يشبه الوجه الموستيري من نمط كينا من حيث المكونات الصناعية ما عدى نوعية التقصيب المتمثل في تقصيب ليفالوا في الموستيري من نمط فارسي، ويحتوي الأدوات التالية :

- نسبة عالية من المكاشط من بينها المكاشط العرضية والسميكة .
- انعدام الفؤوس اليدوية، وندرة المسننات.

و إذا جئنا إلى مواقع هذه الحضارة بالشمال الإفريقي، فإننا نجدها قليلة الانتشار، ويعرف منها في تونس موقع وادي العقاريب بالقرب من قابس، وموقع القطار قرب قفصة .وفي الجزائر نجد إلى جانب بعض مواقع الأطلس الصح ا روي نجد موقع مغارة رتيمية قرب وادي رهيو(حوض الشلف .)أما في المغرب الأقصى فإن موقع جبل ارحود يعد من المواقع الموستيرية الهامة بما احتواه من بقايا بشرية زيادة على الأدوات الحجرية .

صورة نصال ذات الطرق الليفالوازي تعود للفترة الموستيرية عثر عليها بالطاسيلي نزجر(متحف الحظيرة الثقافية الوطنية للطاسيلي نزجر)